الباب الثالث

الجزائـر

كانت مدينة الجزائر تُدعى إكوزيوم في زمن الإمبراطورية الرومانية، ومن مُسمّياتها الحالية البهجة، المحروسة والجزائر البيضاء، وذلك لبياض ولمعان عماراتها ومبانيها والتي يُخيّل للناظر أنها ترتفع عن سطح البحر، وهي أيضا عاصمة ولاية الجزائر.

تقع المدينة في شمال وسط البلاد مُطلّة على الجانب الغربي لخليج البحر الأبيض المتوسط والمدينة من جزأين: جزءٌ قديم يتمثل في القصبة التي توجد على حافة تلة شديدة الانحدار (١٢٢ متراً فوق سطح البحر) خلف المدينة الحديثة، وجزءٌ حديث يوجد على مستوى الساحل القريب من البحر.

التسمية

يُقال ان التسمية أُخِذت من مجموعة الجزر التي كانت متواجدةً قُبالة ساحل المدينة إذ أن جمع جزيرة هو جزائر، وجاء في لسان العرب: الجزيرةُ أرضٌ يَنْجَزِرُ عنها المدُ وفى التهذيب: الجزيرةُ أرض في البحر يَنْفَرِجُ منها ماء البحر فتبدو، وكذلك الأرض التي لا يعلوها السيل ويُحْدِقُ بها، فهي جزيرة وفي مذكرة صغيرة حول أصل تسمية الجزائر كتب ألبرت فرحات اسم الجزائر بالفرنسية بدوره مشتق من الجزائر (جزائر بني مزغنة) وهو الاسم الذي أطلقه عليها بولوجين بن زيري مؤسس

الدولة الزيرية عند بنائها سنة ٩٦٠ ميلادية على أنقاض المدينة الرومانية القديمة التي كانت تحمل اسم إكوزيوم ويشير الاسم إلى الجزر التي كانت قُبالة ميناء الجزائر في تلك الحُقبة والتي تم دمجها فيما بعد فى الرصيف الحالي للميناء كما أنه يمكن لمصطلح جزيرة وفقًا لجغرافيي العصور الوسطى المسلمين أن يُشير إلى الساحل الخصب للجزائر الحالية الواقع بين الصحراء الكبرى والبحر الأبيض المتوسط.

ويعتبر الجغرافي المسلم أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي أول من أشار إليها باسم جزائر بني مزغنة، في أوائل القرن الرابع الهجري، حيث قال: وجزائر بني مزغنة مدينة عامرة يحف بها طوائف من البربر، وهي من الخصب والسعة على غاية ما تكون المدن.

وقد ذكر الجغرافي الأندلسي الشهير أبو عبيد البكري في وصفه لشمال أفريقيا فى كتاب المسالك والممالك في الفصل الذي يتحدّث فيه عن الطريق بين آشير وجزاير بني مزغنة حوالي ١٠٦٨ م أي حوالي ستة قرون قبل وصول الأتراك: ....وهي مدينة جليلة قديمة البُنيان، فيها آثار للأول وأزاج محكمة تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الأمم.

كما يوجد بعض النظريات يجدر الإشارة إليها:

فوفقًا لاسماعيل مجبر أطلق بولوجين بن زيري اسم زيري على الجزائر تخليدًا لاسم أبيه وبذلك يكون اسم جزاير مشتقا منه وقد يدعم ذلك تأكيد البكري على أن سكان الجزائر وضواحيها كانوا من البربر بنو مزغنة، الذين عاشوا بمُحاذاة مملكة الحماديين الأمازيج، ومنه يصعب احتمال أن يكون أصل التسمية هو الجزائر بمعنى مجموعة الجزر لا سيما وأن مؤسِّسِي المدينة هم الزيريون الذين احتلوا المدينة في عهد بولوجين بن زيري ليُصبح اسم سُكّانها الزيريون بنو مزغنة وهناك من يقول من العامة أن الكلمة جزائر أصلها من عبارة جاء زائر وتم اختصارها ليسهُل نُطقها فصارت جازائر ثم جزائر، ولم يُساند هذا القول أيّ ممن كتب عن تاريخ الجزائر وأصل تسميتها.

التاريخ

وفقاً للأسطورة اليونانية، أسّس الجزائر ٢٠ من مرافقي هرقل الأمازيجي، واسمها الأصلي بالفينيقية هو إيكوسيم، ويُقال إن الاسم اليوناني إكوزيون مستمدٌ من الكلمة اليونانية التي تعني عشرين.

ويعتبر جون هاردوين أول من اقترح تحديد إكوسيوم بالجزائر العاصمة، وأكد ذلك العثور على حُطام مزهريات أصلية تعود للقرن الثالث قبل الميلاد في بئر عمقها عشرون مترا في ديسمبر ١٩٥٢، كما

أكدت الحفريات أن تاريخ تأسيس إكوسيم يعود إلى ماقبل القرن الرابع قبل الميلاد.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد استوطن البونيقيون الموقعَ إكوسيم، وأطلقوا عليها اسم يكسم ويُعتقد أن المقصود منه جزيرة البوم التي تُرجمت إلى اللاتينية إكوسيوم وبقيت إكوسيم موقعاً تجارياً صغيراً في الفترات الفينيقية والقرطاجية.

العصور القديمة :

في عام ٢٠٢ قبل الميلاد، خضعت المنطقة للهيمنة الرومانية، وذلك بعد حلفٍ تم بين سكيبيو الأفريقي وماسينيسا ضد قرطاج، وغير اسمها من ايكوسيم بالفينيقية إلى اللاتينية ليصبح إكوزيوم (جزيرة النورس) تحت حكم يوبا الأول وبطليموس وقد حاول بطليموس الموريطني أن يُسيطر على قبائل مغراوة الأمازيجية، المُتواجدة بكثرة في محيط إكوسيوم فقام بنقل جزء منهم إلى الشلف، وحارب المُقاومين البربر الذين أثارهم تاكفاريناس في نفس الوقت، وبعد تيبريوس أرسل فسبازيان مستعمرة لوقف أعمال الشغب في إكوسيوم.

وبعد وفاة تاكفاريناس قام فيرموس بتحطيم إكوزيوم بمُساعدة جميع القبائل البربرية التي تعيش في الجبال المحيطة وذلك في القرن الرابع

الميلادي، وفي بداية القرن الخامس الميلادي تم إدخال المسيحية إلى إكوزيوم وفي عام ٤٢٩ سقطت المدينة تحت سيطرة الوندال أثناء غزوهم لشمال أفريقيا وظلوا فيها حتى عام ٤٤٢ حيث ثم عقد مُعاهدة سمحت لروما باسترجاع اِيكوسيوم وفي سنة ٥٣٣ حاول البيزنطيون السيطرة عليها لكنهم هوجموا من قِبَل قبائل البربر.

العصر الوسيط : أدخلت الفتوحات الإسلامية الإسلام إلى شمال أفريقيا عام ٧١٠م، وفي ذلك الوقت كانت مدينة الجزائر خاضعة لحكم سلالة المغراويون الزناتة،الذين هُزموا على يد زيري بن مناد الصنهاجي الذي كان موالياً للفاطميين وقد أثبت شجاعته لهم عندما فاز على بربر الزناتة الخوارج (مغراوة، بنو يفرن...إلخ)، وبعد وفاة أبو يزيد قائد بنو يفرن، استولى زيري بن مناد على المنطقة الوسطى وأسس آشير عاصمة للزيريين.

وبحسب ابن خلدون، كانت قبائل صنهاجة تسكن منطقة الجزائر مع حكم الزيريين وبتصريح من زيري بن مناد أسّس ثلاث مدن هي جزاير بني مزغنة والمدية وملیانة بعد طرد الزناتة وفي عام ٩٦٠م، أعاد بولوجين بن زيري بناء إكوسيوم في منتصف القرن العاشر، من خلال تحصين وتوسيع الموقع الذي كانت تحتله قبائل بني مزغنة وسماها جزاير بني مزغنة واستمرت الحرب بين الزناتيين وصنهاجة، وفي

إحدى المعارك ضد المغراويين عام ٩٧١ م قُتِل زيري بن مناد وحُمِل رأسه إلى قرطبة من أجل الحصول على المساعدة في مواجهة جيش الزيريين الموالي للفاطميين وانتقاماً لموت أبي يزيد،وفي هذه الأثناء عيّن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بولوجين بن زيري خليفة على بلاد المغرب.

كانت مدينة الجزائر تُدعى إكوزيوم في زمن الإمبراطورية الرومانية، ومن مُسمّياتها الحالية البهجة، المحروسة والجزائر البيضاء، وذلك لبياض ولمعان عماراتها ومبانيها والتي يُخيّل للناظر أنها ترتفع عن سطح البحر، وهي أيضا عاصمة ولاية الجزائر.

وواصل بولوجين حربه ضد الزناتة الذين طلبوا الدعم من أمويي قرطبة من أجل استعادة مناطقهم ومدنهم ومن بينها الجزائر، لكن بولوغين في ذلك الوقت كان قد بسط سيطرته على أرجاء بلاد المغرب كلها، من خلال اتّباع تعليمات المعز لدين الله، وقد سيطر بولوغين على مدن المغرب العربي كاملةً، وأصدر أوامره بالقضاء على جميع الزناتة، وأمر كذلك بجمع الضرائب من البربر بقوة السيف، وهو الأمر الذي تسبب في سخط واحتجاج القبائل الأخرى، فأعلنوا الحرب ضد الزيريين الذين قاموا بدحر مدينتي ميلة وسطيف، قبلَ الأمويون أخيرًا دعم الزناتة من أجل استعادة مناطقهم خصوصاً من مغراوة، ما دفع بولوجين

للتراجع خاصة عند رؤية جيش زناتة كاملًا يقدم عن طريق البحر من الأندلس وهو يستقر في سبتة.

تلت وفاة بولوغين ابن زيري عام ٩٨٣ فترة طويلة من الهزائم للزيريين، واسترجعت مغراوة أراضيها وهيبتها في المغرب الأوسط وفي

تخلّى الفاطميون عن مخططهم لاحتلال الأندلس من أجل حماية مصر وباقي الأقاليم التابعة لهم، وبقي للزيريين سيادة على أراضيهم في شرق الجزائر إلى جانب قبائل صنهاجة واستولى المرابطون على مدينة الجزائر بفضل يوسف بن تاشفين الذي هزم جميع قبائل الزناتة وبنى أول مسجد يتبع المذهب المالكي وهو الجامع الكبير سنة ١٠٩٧ ولم تنشب أي حرب بين المرابطين والزيريين فكلاهما من قبائل صنهاجة، وعلى الرغم من قوة السلالة الزيرية فقد أطيح بهم من قبل روجر الثاني ملك صقلية عام ١١٤٨ وفي سنة ١١٥١ انتزع أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي الكومي مدينة الجزائر من المرابطين ليُوّحد فيما بعد بلاد المغرب والأندلس تحت حكمه، وفي القرن الثالث عشر، استولى سلاطين بني زيان من تلمسان على مدينة الجزائر، وأصبحت اسمياً جزءاً من سلطنة تلمسان.

وفي عام ١٣٠٢م، سيطر الإسبان على جزيرة بينون القريبة من ميناء الجزائر العاصمة، وبعد ذلك، نشأت علاقات تجارية بين الجزائر وإسبانيا ومع ذلك، ظلت الجزائر ذات أهمية ضئيلة نسبياً حتى بعد طرد مورسكيون من اسبانيا عام ١٤٩٢م، وقد التمس الكثير منهم اللجوء إلى الجزائر وفي سنة ١٥١٠ وبعد احتلال الأسبان وهران وغيرها من المدن على الساحل الأفريقي، حاصر الاسبان مدينة الجزائر وبنوا حصناً على جزيرة صغيرة في خليجها جزيرة بينون لقصف المدينة ومنع الامدادات عنها وقاموا بفرض ضريبة لوقف نشاط القرصنة وفي أواخر عام ١٥١٠ استولى فرناندو الكاثوليكي على مدينة الجزائر وفي عام ١٥١٦م، قام سالم التومي قائد بني مزغنة بطلب الحصول على المساعدة من الأتراك بطلب النجدة من الأخوين عروج وخير الدين بربروس لطرد الإسبان، فقاموا بتلبية طلبه واستقر عروج بربروس أول الأمر بجيجل، ثم استولى على المدينة بعد طرد الأسبان منها في معركة الجزائر (١٥١٦)، على رأس ١.٣٠٠ رجل تركي وأسطول مُكوّن من ١٦ سفينة شراعية، ليصبح سيد المدينة بعد أن ضيق الخناق على سالم التومي، الذي لجأ إلى مسقط رأس عائلته كوكو إيفيجاء.

وخلف خير الدين أخاه عروج، بعد اغتياله في معركة سقوط تلمسان سنة ١٥١٧ ضد الأسبان، وأسس خير الدين باشليك التي أصبحت فيما

بعد بيليك الجزائر، وشنت القوات الأسبانية حملة جديدة على مدينة الجزائر سنة ١٥١٩م للقضاء على خير الدين ورفاقه لكنها باءت بالفشل وبعد الحملات الأسبانية المُتكرّرة على مدينة الجزائر قام أهل الجزائر بطلب الحماية من السلطان العثماني سليمان القانوني مقابل الانضواء تحت لواء الإمبراطورية العثمانية، وهو ما لقي قبول عند السلطان العثماني، وقام بمساعدة الجزائر بألفي جندي انكشاري وبمثلها من المُتطوّعين، وقام سليمان القانوني بتعيين خير الدين بايلرباي (أمير الأمراء) على الجزائر أواخر ١٥١٩م وفي عام ١٥٢٤ فقد خير الدين الجزائر، لكنه استعادها في معركة الجزائر (١٥٢٩).

سعى كارلوس الخامس ملك أسبانيا والإمبراطورية الرومانية المقدسة، للاستيلاء على المدينة في معركة الجزائر أكتوبر ١٥٤١ ولكن عاصفة بحرية دمّرت عدداً كبيراً من سفنه وجيشه المكون من ٣٠.٠٠٠ رجل من الأسبان أساساً فهزمه الجزائريون تحت راية الباشا حسن وكانت الجزائر رسمياً جزءاً من الامبراطورية العثمانية لكنها في الواقع خارجة عن سيطرتها، بمعنى أنها كانت تتمتع بحكم ذاتي بدءاً من القرن ١٧ تحولت الجزائر إلى أعمال القرصنة والافتداء ، وتبعاً للسيطرة المتزايدة لسفن الشحن الأوروبية بدعم من القوات البحرية الأوروبية. جرت محاولات متكررة من جانب دول مختلفة لإخضاع القراصنة الذين

أضروا بالملاحة في غرب البحر الأبيض المتوسط واشتركوا في غارات الرق إلى أقصى الشمال حتى آيسلندا حيث خاضت الولايات المتحدة حربين هما حرب البربر الأولى والثانية ضد هجمات الجزائر على سفن الشحن البحري.

وعندما كانت المدينة تحت السيطرة العثمانية كانت محاطة بسور من جميع الأطراف حتى على طول الواجهة البحرية، حيث كانت لهذا السور خمسة أبواب تسمح بولوج المدينة وخمسة طرق، واحد من كل باب تعبر المدينة حتى تلتقي أمام مسجد كتشاوة الطريق الرئيسي بالمدينة ويمتد من الشمال إلى الجنوب ليقسمها إلى قسمين المدينة العليا آل-جبل، أو الجبل والمدينة المُنخفضة ثم استقل داي الجزائر بها عن تركيا وفي عام ١٨١٧، تم قصف المدينة من أسطول بريطاني بمساعدة من رجال الحرب الهولنديين وقاموا بتدمير أسطول القراصنة الذين يأويهم ميناء مدينة الجزائر.

عملت فرنسا حادثة المروحة ذريعة لها لاحتلال الجزائر وقد قامت بفرض حصار عسكري بحري على الجزائر بغرض إضعاف قوتها الاقتصادية المُعتمدة على النشاط البحري، وإغلاق جميع الأبواب أمام أي تدخل عسكري محتمل من طرف الدولة العثمانية أو الدول الأوروبية المُنافسة لها.

شجّعت فرنسا الأوربيين على الاستيطان في الجزائر، ومنحتهم أراضٍ ومساكن الجزائربين المسلمين، وقامت بإصدار قوانين تعسفية ضد الجزائريين لتسهيل ذلك وحول الفرنسيون الجزائر إلى مقاطعة مُكمّلة لمقاطعات فرنسا، كما اعتبرت فرنسا كل المواطنين ذوي الأصول الأوروبية (واليهود أيضا) مواطنين فرنسيين لهم كامل الحقوق، ولهم الحق في التمثيل في البرلمان، بينما تم إخضاع السكان العرب والبربر المحليين (عرفوا باسم الأهالي) إلى نظام التفرقة العنصرية.

خلال الحرب العالمية الثانية كانت الجزائر تابعة لألمانيا التي بدورها كانت تحتل فرنسا في عهد هنري فيليب بيتان ١٨٥٦-١٩٥١ يوم ٧ نوفمبر ١٩٤٢ شهدت الجزائر ومدن أخرى في شمال أفريقيا انزال قوات التحالف البريطانية والأمريكية رفقة القوات الفرنسية خلال عملية الشعلة وكانت مدينة الجزائر آخر مدينة يتم استرجاعها من الألمان على يد الحلفاء خلال هذه العملية، بعدها تحولت المدينة مركزاً لقيادة الحلفاء تحت إمرة دوايت أيزنهاور.

قاد المقاتلون الجزائريون هجمات ضد للجيش الفرنسي من أجل التحرر، ولا تزال مدينة الجزائر مشهورة بهذه المعركة، التي كانت تتميز بالمعارك القاسية بين القوات الجزائرية الذين قاموا بعمليات فدائية ضد المحتلين الفرنسيين، ومن ناحية أخرى نفذ الجيش الفرنسي القمع

الدموي بما في ذلك استخدام التعذيب شبه المنتظم على المتظاهرين الجزائريين والمتعاطفين الفرنسيين الذين ساندوا الثورة،وسقطت الجمهورية الرابعة في فرنسا.

حققت الجزائر تحررها في ٥ يوليو ١٩٦٢ وعينت مدينة الجزائر عاصمة لها بعد ثورة كان هدفها نيل الاستقلال والحرية، وبلغ عدد الجزائريين الذين قتلوا في فترة حرب التحرير من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٢، أكثر من ١.٥ مليون شخص على أيدي الجيش الفرنسي أما عدد الأشخاص الذين قتلوا إبّان الاحتلال الفرنسي الذي دام قرناً واثنتين وثلاثين سنة فقد كان أكثر من ستة ملايين نسمة.

تتمتع الجزائر بمناخ البحر المتوسط، ومعروفة بفصل صيف طويل حار وجاف وشتاء معتدل ورطب، أما الثلوج فهي نادرة ولكنها ليست مستحيلة مع أمطار وفيرة يمكن أن تكون طوفانية.

مع مطلع القرن العشرين شهدت مدينة الجزائر هجرات سكانية كثيفة من منطقة القبائل الكبرى والصغرى بحثاً عن العمل وهو الشيء الذي رفع نسبة الناطقين بالامازيجية فى المدينة إلى ٣٠%، أستمرت هذه الهجرات لتبلغ النسبة ٤٠% عام ١٩٢٥ و٦٠% مع اندلاع الحرب العالمية الثانية نسبة الناطقين بالأمازيجية تبدأ في التراجع مع بداية

نزوح سكان الصحراء والهضاب العليا واستقر العديد من الأوروبيين في الجزائر ومع مطلع القرن العشرين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان .

الاقتصاد

تحتكر العاصمة الجزائرية الدور الرئيسي في النشاط الاقتصادي والتجاري والمالي للبلاد، بصفتها المركز الإداري للجزائر، حيث تشرف على معظم القطاعات الحيوية، بفضل مينائها الذي يغطي ٤ % من حركة النشاط البحري الاقتصادي في الجزائر، ويعتبر مركز شحن ومحطة للتزود بالوقود البحر الأبيض المتوسط الرئيسية ويتركز فى العاصمة العديد من الصناعات خصوصاً في منطقة رويبة.

وتشكل السياحة رافداً مهماً لاقتصاديات الدولة، حيث توجد بها العديد من المنتجعات السياحية ذات السمعة العالمية، وشاطئ سيدي فرج الذي يعتبر أكبر منطقة سياحية ساحلية معروفة في الجزائر، وإلى جانب شاطئ سيدي فرج نجد شاطئ خلوفي١ ، كما تحتوي الجزائر على شاطئ خاص بمنتجع شيراوتن نادي الصنوبر الذي يقع في موقع متميز وتضم الجزائر العديد من الحدائق الطبيعية ومواقع الترفيه والنزهة والمنتجعات.